الرسائل الضمنية للمكان والزمان في الكتيب الأول من مؤلف "عن الشؤون الزراعية" لڤارّو

وائـــل سـلامة فـايـز ســـــلام (*)

يناقش هذا البحث المغزى والرسائل الضمنية التي يشير إليها المكان والزمان من خلال اجتماع المتحاورين في الكتيب الأول من مؤلف "عن الشون الزراعية" De Re Rustica عند ماركوس تيرنتيوس ڤارّو M.Terentius Varro[1]، وهو عمل أدبي يتألف من ثلاثة كتيبات، يرجع تاريخ نشرها إلى عام ٣٧ق.م، قبل عشر سنوات من وفاة ڤارو، الشكل الأدبي الذي كتب به المؤلف هو الحوار، أو المحادثة، التي يشارك فيها العديد من المتحدثين، عن طريق المناقشة والسؤال والإجابة، يتم تقديم المعلومات حول موضوع محدد، و بعد مناقشة منطقية يتم الوصول إلى بعض الاستنتاجات. غالبًا ما يتحدث شخص واحد بإسهاب، بينما يناقش الأخرون مواضيع ثانوية، ويتسم الحوار بالسهولة ويعكس آداب اليوم، يتم إعداد المشهد، ووصف المكان والمناسبة، ويأخذ المشاركون الذين هم أناس حقيقيون في سرد الحكاية، يتم تمثيل القليل من الدراما الحية، ولكن بدون خشبة مسرح[2]. الكتيب الأول الموجه إلى زوجته فوندانيا، يتناول الزراعة الحقلية، وتدور أحداثه في حفل عشاء تم إلغاؤه فجأة عندما وردت أنباء عن مقتل المضيف الغائب في السوق.

(*) هذا البحث مستل من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: ["عن الشؤون الزراعية" لڤارو (دراسة أدبية فنية)]، وتحت إشراف: أ.د. هانم محمد فوزي سليمان – كلية الآداب – جامعة القاهرة & أ.د. طه محمد زكي - كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) ولد ماركوس ترنتيوس ڤارّو M.Terentius Varro في رياتي Reate، وعاش بين عامي ١١٦ و٢٧ ق.م، وكان على علاقة وثيقة برائد العصر شيشرون Cicero (١٠٦-٤٣ ق.م)، ويعد ڤارو عالما موسوعيا وباحثًا مدققا في مسائل كونية؛ حيث فاق كل معاصريه من حيث غزارة الإنتاج الأدبي والإنجاز والتأثير بعد موته، بل إنه فاق شيشرون نفسه؛ فقد كتب حوالي ٦٢٠ كتابا، وهو إنتاج قياسي لم يصل إلى مستوى حجمه أيُّ مؤلف روماني آخر، وربما لم يصل إليه أيُّ مؤلف إغريقي كذلك. انظر:

(B.Ribosati :"*M.Terenzio Varrone :L´Uomo e lo Scrittore*", *Atti del Congresso Internazionale Di Studi Varroniani, Rieti* (1976),vol.(I),p.61.)

(2) Bertha Tilly (1973), Varo the farmer; A selection from the Res Rusticae, university Tutorial press Ltd, p.23.

وسوف يعالج البحث النقاط الرئيسية التالية:

١- المشاهد الافتتاحية والتقاء الشخصيات.
٢- خريطة إيطاليا والحديث عن الزراعة.
٣- معبد تللوس والمناقشات الزراعية.
٤- غياب حارس المعبد والاضطرابات في روما.

مما لا شك فيه أنَّ تميز أي تراث إنساني أو عمل فني يكمن في مهارة مؤلفه بتضمينه المشاهد والأحداث التي تعكس لنا أدأب وسلوكيات عصره، هكذا جميع المشاهد في الشؤون الزراعية مؤثرة ومفعمة بالحياة؛ كل صورة يتم تقديمها تشبه بعض اللوحات الفنية (لكن كتلك التي تنبض بالحياة)، فتعطي لمحة عن الحياة الرومانية المشرقة كأنها مشاهد حية تتجسد في تصوراتنا كما تتجسد على المسرح.

١- <u>المشاهد الافتتاحية والتقاء الشخصيات.</u>

أتقن ڤارو صياغة جميع جوانب الحدث الدرامي - بدأ من المكان والمناسبة وحتى التسلسل الزمنى والمشاركين- بعناية فائقة، بحيث لا تكون مجرد مظاهر ملائمة فحسب، بل تساهم وتلقي بظلالها أيضًا على الأحداث والمناقشات التي تكون فيها البيئة المحيطة شاهدةً عليها، ومن ثم أعد ڤارو المشاهد الافتتاحية في الكتيب الأول بعناية فائقة؛ لكي يقوم بتضمينها أفكاره ورؤيته السياسية والاجتماعية لعصره ومجتمعه آنذاك بشكل غير مباشر هكذا:

Sementivis feriis in aedem Telluris veneram rogatus ab aeditumo. (DRR.I.2.1)

" في عيد البذور، كنت قد ذهبت إلى معبد تللوس بدعوة من حارس المعبد"

يبدأ المشهد الافتتاحي في الكتيب الأول من الشؤون الزراعية بوصول ڤارو إلى معبد تللوسTellus [١] في روما في يوم "عيد البذور" [٢]sementivae Feriae ،

([١]) يقع **معبد تللوس** في روما على هضبة إسكولين Esquiline، بالقرب من منازل ماركوس أنطونيوس وكوينتوس توليوس شيشرون. كان شيشرون Cicero.M مسؤولاً عن المعبد في أوائل الخمسينيات وحتى منتصفها وأخبرنا أن المعبد كان يضم مستودعا للأسلحة، والذي داهمه بوبليوس كلوديس بولكير P. Clodius Pulcher وعصابته في وقت ما قبل عام ٥٦ ق.م(Cic. Har. 31)، على الأرجح خلال فترات قتال الشوارع مع تيتوس أنيوس ميلوTitus Annius Milo.انظر:

(Platner, S. B. and Ashby, T. (1929), A topographical dictionary of ancient Rome, Oxford, Oxford University Press, p. 511.)

([٢]) عيد البذور sementivae feriae: وهو مهرجان روماني للزراعة. بدأ المهرجان في نهاية شهر يناير والذي استمر من ٢٤ حتى ٢٦ يناير. لتكريم الربة تللوس، المعروفة

وهو مهرجان ريفي يحتفل بزراعة المحاصيل وطلب الحماية الإلهية لها، في يوم العيد هذا، يأتي ڤارو إلى المعبد، الواقع في منطقة سكنية هضبة إسكولين[١] Esquiline، بعد أن تمت دعوته من قبل أمين المعبد.

ولذلك يخبرنا ڤارو في سياق الأحداث من هو حارس المعبد، وماذا كانت مهامه ليقدم مثل تلك الدعوة:

Illi interea ad nos, et Stolo, Num cena comessa, inquit, venimus? Nam non-L. videmus Fundilium, qui nos advocavit. (DRR.I.2.11).

"وبينما كنا نتحدث، جاءوا، وسأل ستولو: " ألم نصل متأخرين جدًا لتناول العشاء؟ لأنني لا أرى مضيفنا لوكيوس فونديليوس".

وهكذا من خلال سياق النص بينما كان ڤارو وأصدقائه، الذين سبق تواجدهم في معبد تللوس قبل قدوم الأخرين، يناقشون الشؤون الزراعية، وصل إليهم تباعًا اثنين آخرين من أصدقائهما، هما: جايوس ليكينيوس ستولو Gaius Licinius Stolo، وجنايوس تريميليوس سكروفا[٢] Gnaeus Tremelius Scrofa، حيث كان ڤارو

أيضا باسم الأم الأرض. كانت عيد البذور مخصص للصلاة من أجل محصول جيد، لكن يوم الصلاة المحدد يختلف من سنة إلى أخرى، وفقًا لقرار القضاة أو الكهنة المحليين، يتم تعليق الأعمال اليومية العادية، وكانت بعض المناسبات عبارة عن شؤون عائلية خاصة، بينما كانت أخرى علنية. راجع:

(Varro *On the Latin Language in 25 Books*, vi. 26,)

(١) **هضبة إسكولين:** تقع في العاصمة الإيطالية روما. بني الكثير من الأماكن الأثرية والدينية منذ عصر الإمبراطورية الرومانية وحتى وقت متأخر، ومن أهم الأبنية التي أنشئت على الهضبة: الكولوسيوم وأيضا شارع النصر وقصر نيرون وبازيليك القديسة مريم الكبرى. انظر:

(Amanda Claridge (2010), Rome: An Oxford Archaeological Guide, Oxford University Press, p.5)

(٢) ستولو Stolo وسكروفا Scrofa: هما اسمان رومانيان حقيقيان، ولكن من الواضح أنه تم اختيارهما هنا من أجل التورية.

فيما يتعلق ب ستولو فقد استمد اسمه من مهنته:

quod nullus in eius fundo reperiri poterat stolo, quod effodiebat circum arbores e radicibus quae nascerentur e solo, quos stolones appellabant.(Varro, DRR.I.2.9)

يترقب وصولهم بالفعل [1]، وعندما وصلوا سألهم ستولو عما إذا كانوا وصلوا متأخرين جدًا عن وقت العشاء لأنهم لا يرون مضيفهم الذي استدعاهم وهو لوكيوس فونديليوس Lusius Fundilius. في هذا السياق نعرف أن أمين المعبد، هو لوكيوس فونديليوس، وكانت مهامه الاهتمام بشئون المعبد وتنظيم المهرجانات الدينية وأرسال الدعوات للمدعوين في هذه المناسبات العامة واستقبال الزوار وإعداد العشاء والذي كان إما وجبة رمزية من الكلمات أو عشاءً بالفعل. في هذا الصدد أيضا يزداد عدد المتحاورين بانضمام ستولو وسكروفا، ليصبح خمسة أفراد. وهكذا توجه ڤارو إلى معبد تللوس بناءً على دعوة حارس المعبد، ولكن مشهد الاستقبال لم يكن على غير عادته، وهو ما يصفه بقولة:

Offendi ibi C. Fundanium, socerum meum, et C. Agrium equitem R. Socraticum et P. Agrasium publicanum spectantes in pariete pictam Italiam. (DRR.I.2.1)

"وجدت هناك جايوس فوندانيوس، حماي، وجايوس أجريوس، وهو فارس روماني من المدرسة السقراطية، وبوبليوس أجراسيوس، محصل الضرائب، يتفحصان خريطة إيطاليا المرسومة على الحائط."

وجد ڤارو هناك بالفعل بعض المواطنين الرومان (أصدقائه) وينتظرون أيضًا أمين المعبد: وهم جايوس فوندانيوس، والد زوجة ڤارو؛ جايوس أجريوس، فارس روماني ينتمي إلى المدرسة السقراطية؛ وبوبليوس أجراسيوس، جابي الضرائب، يكتشف ڤارو أن الضيوف كانوا يمعنون النظر (spectantes) في خريطة إيطاليا المرسومة على أحد جدران المعبد.

"وكان يحفر حول أشجاره بشكل دقيق لدرجة أنه لم يكن من الممكن العثور في مزرعته على واحدة من تلك المصاصات التي تنبثق من الجذور وتسمى ستولونات."

جاء اسم ستولوstolo من المصاصات stolones التي تنبثق من النبات وتضعفها فكان دوره هنا هو إزالة تلك العوالق الماصة لتغزية النبات.

وبالنسبة لـ سكروفا scrofa = تعنى خنزير راجع (Varro, DRR, II.4)

(1) كان فارو يترقب وصول ستولو وسكروفا بقوله:

Nam C. Licinium Stolonem et Cn. Tremelium Scrofam video venire;(Varro. d RR. I. 2.9)

" لأنني أرى جايوس ليسينيوس ستولو وجنايوس تريميليوس سكروفا يقتربان"

بينما كان فارو يناقش أحد الأمور الزراعية مع أصدقائه كان يترقب وصول أصدقائهم ستولو وسكروفا، كونهما لديهم خبرة أفضل في موضوعهم المطروح.

٢- **خريطة إيطاليا والحديث عن الزراعة.**

هكذا عندما وصل ڤارو إلى المعبد ووجد بعض أصدقائه هناك يحدقون في خريطة إيطاليا المرسومة على جدار إحدى غرف المعبد، كوسيلة لتمضية الوقت في انتظار عودة مضيفهم، ولكن ما الشيء الملهم في خريطة إيطاليا الذي يجعلهم يقررون انتظار مضيفهم بينما يتفحصون الخريطة الجدارية، هذا ما يخبرنا به الحوار التالي:

Cum consedissemus, Agrasius, Vos, qui multas perambulastis terras, ecquam cultiorem Italia vidistis? inquit. Ego vero, Agrius, nullam arbitror esse quae tam tota sit culta. Primum cum orbis terrae divisus sit in duas partes ab Eratosthene maxume secundum naturam, ad meridiem versus et ad septemtriones, et sine dubio quoniam salubrior pars septemtrionalis est quam meridiana, et quae salubriora illa fructuosiora, dicendum utique Italiam magis etiam fuisse opportunam ad colendum quam Asiam, primum quod est in Europa, secundo quod haec temperatior pars quam interior. (DRR.I.ii.3-4)

"عندما جلسنا، قال أجراسيوس: "لقد سافرتم جميعًا عبر العديد من الأراضي؛ هل رأيتم ارض مزروعة بشكل أفضل من إيطاليا؟ "أجاب أجريوس: "بالفعل، أعتقد أنه لا توجد أرض تخضع للزراعة بشكل كامل مثل إيطاليا ". خذ بعين الاعتبار أولاً: أن إراتوستينيس، متبعًا تقسيمًا طبيعيًا للغاية، قد قسم الأرض إلى قسمين، أحدهما إلى الجنوب والآخر إلى الشمال؛ وبما أن الجزء الشمالي هو بلا شك أكثر خصوبة من الجزء الجنوبي، في حين أن الجزء الأكثر خصوبة هو الأكثر إثمارًا، فيجب أن نتفق على أن إيطاليا، على الأقل، كانت أكثر ملاءمة للزراعة من آسيا. أولًا، لإنها تقع في أوروبا؛ وثانيًا، يتمتع هذا الجزء من أوروبا بمناخ أكثر اعتدالًا مما نجده في المناطق الداخلية."

بعدما قرر المتحاورون الجلوس وانتظار مضيفهم، بينما يتفحصون خريطة إيطاليا أمامهم، يبدو أنها ألهمتهم للحديث عن الزراعة، وبدا أجراسيوس الحوار بسؤال (يعلمون جميعهم أجابته) عما إذا كان هناك أرض زراعية أفضل من إيطاليا، ومن ثم رد علية أجريوس بتأكيد هذا الاستنتاج، مستندًا إلى تقسيم الأرض الذي قام به

العالم الإغريقي إيراتوستينيس Ἐρατοσθένης (٢٧٦ ق.م – ١٩٤/١٩٥ ق.م تقريبًا). [١]

باعتباره أول جغرافي نظامي، فقد قام بحساب محيط الأرض تقريبًا بدقة، وحجم الشمس والقمر وبعدهما عن الأرض، كما قسم الأرض إلى قسمين سماهما: أوروبا (التي كان من ضمنها شمال أفريقيا) وآسيا، وذلك عن طريق خط وهمي من أعمدة هرقل (مضيق جبل طارق الآن) إلى جزيرة رودس، وفي النقطة الأخيرة رسم محورين رئيسيين لخطوط الطول والعرض. في الجزء الشمالي كانت بلدان البحر الأبيض المتوسط (بما في ذلك شمال أفريقيا) التي تتمتع بمناخ معتدل، ولكن في أقصى الشمال كانت أرض القطب الشمالي المتجمدة: أما في الجزء الجنوبي فكانت منطقة شديدة الحرارة حيث تمنع الحرارة الزراعة. [٢]

وهكذا طبقا لـ اراتوستينيس كان الجزء الشمالي أكثر خصوبة وبالتالي أكثر إثمارًا، فيخلص أجريوس إلى تمييز الموقع الزراعي لإيطاليا مقارنة بكل البلاد في العالم المأهول آنذاك لسببين:

أولًا: لأنها تقع في الجزء الشمالي الأكثر خصوبة من الجنوبي من الكرة الأرضية فهي عندئذ تتميز عن الدول في أسيا.

ثانيًا: وبسبب موقعها المتميز في الشمال بوقوعها في الجزء المعتدل مناخيا من أوروبا؛ فهي عندئذ تتميز عن باقي الدول الواقعة في الداخل الأوربي ناحية القطب الشمالي الأكثر برودة. لقد ألهمتهم خريطة إيطاليا للحديث عن خصائص ومميزات

---

(١) **إراتوستينيس Ἐρατοσθένης** (٢٧٦ ق.م – ١٩٤/١٩٥ ق.م تقريبا) كان عالما موسوعيا إغريقيا: رياضي وجغرافي وشاعر وعالم فلك ومنظّر موسيقي. كان رجلًا متعلما، ولد وتعلم في قورينا، وصار كبير أمناء مكتبة الإسكندرية. يشبه عمله ما يعرف الآن بدراسة الجغرافيا، وقد قدم بعض المصطلحات التي ما زالت مستخدمة اليوم. اشتهر بكونه أول شخص يحسب محيط الأرض، الأمر الذي فعله باستخدام نتائج المسح الشامل التي تمكن من الوصول إليها بموجب منصبه في المكتبة، وكان حسابه دقيقا على نحو ملفت للنظر. كان أيضا أول من حسب ميل الأرض المحوري، والذي تبين أيضا أنه دقيق للغاية. ابتكر أول إسقاط عالمي للعالم، متضمنا دوائر العرض وخطوط الطول بناء على المعرفة الجغرافية المتاحة في عصره. كان إراتوستينيس مؤسس علم التسلسل الزمني، وسعى إلى مراجعة تواريخ الأحداث الرئيسة لحرب طروادة شبه الأسطورية، وأرجع تاريخ نهب طروادة إلى عام ١١٨٣ ق.م. انظر:

(Roller, Duane W. (2010), Eratosthenes' Geography, New Jersey: Princeton University Press, p. 8.)

(2) Bertha Tilly (1973), P. 130.

إيطاليا كبلد زراعي وتفردها بين الدول بمناخ معتدل وتربة خصبة ملائمة لإنتاج زراعي وفير.

هكذا تميزت إيطاليا بموقع متميز بين الدول منحها مناخ مثالي وتربة خصبة لإنتاج زراعي وفير، ترى عندئذ كيف كانت جودة المحاصيل الزراعية في أقاليم إيطاليا الخصبة:

Contra quid in Italia utensile non modo non nascitur, sed etiam non egregium fit? Quod far conferam Campano? Quod triticum Apulo? Quod vinum Falerno? Quod oleum Venafro? Non arboribus consita Italia, ut tota pomarium videatur? An Phrygia magis vitibus cooperta, quam Homerus appellat ἀμπελόεσσαν, quam haec? Aut tritico Argos, quod idem poeta πολύπυρον? In qua terra iugerum unum denos et quinos denos culleos fert vini, quot quaedam in Italia regiones? (DRR.I.ii.6-7)

"ومن ناحية أخرى، ما هو المحصول المفيد الذي لا ينمو في إيطاليا فحسب، بل ينمو أيضًا إلى حد الكمال؟ أي عَلَس سأقارنه (بعلس) كمبانيا، وأي قمح أقارنه بالقمح في ابولويا، وأي نبيذ أقارنه بنبيذ فاليرنوس، وأي زيت أقارنه بزيت فينافروم؟ أليست إيطاليا مغطاة بالأشجار إلى الحد الذي يجعل الأرض كلها تبدو وكأنها بستان؟ هل هذه فريجيا، التي يسميها هوميروس "الغنية بالكروم"، مغطاة بالكروم أكثر من هذه الأرض، أم أرجوس، التي يسميها الشاعر نفسه "الغنية بالقمح، مغطاة بالقمح أكثر؟"

بعدما وصف أجريوس أسباب تفرد خصوبة التربة في إيطاليا مقارنة بالعالم الخارجي من خلال وجه نظر العالم الإغريقي إراتوستينيس، ثم يأتي دور فوندانيوس Fundanius في الحوار، لكي يصف لنا المواصفات والجودة المتميزة للمنتجات الزراعية في أقاليم إيطاليا الخصبة، من خلال عدة اسأله استنكارية تثير التفكير في مدى ثراء وإنتاجية إيطاليا ومقارنتها بمناطق أخرى.

في البداية يتساءل عن المحاصيل المفيدة التي لا تنمو فحسب في إيطاليا بل أيضًا تنموا إلى أقصى درجات الجودة والثراء؟ والإجابة ضمنيًا هنا أن أي محصول يزرع في إيطاليا لا ينمو نموًا عاديًا فحسب، بل ينتج أفضل أنواع المحاصيل وأجودها، وفي هذا السياق يطرح عدة أسئلة مصحوبة بنماذج من المحاصيل والمنتجات الزراعية ليؤكد كلامه، فيسأل: هل هناك علس[1](far) يمكن مقارنته

([1]) **عَلَس far:** يطلق عليه أيضا (ador) غالبا ما يترجم إلى "علس / قمح رومي" ، ولكن ينظر إليه على أنه emmer " حنطة نشوية/ قمح ثنائي الحبة / قمح إيمر": كان نوعا بدائيا من القمح المقشر الذي كان النظام الغذائي الأساسي للناس في العصور القديمة.

بالعلس المزروع في إقليم كامبانياCampania [1]؟ والإجابة ضمنيًا هنا أنه لا يوجد أفضل من العلس المزروع في كمبانيا، ونفس الأمر أيضًا بخصوص القمح

كان معروفاً في زمن هوميروس ومن أقدم العصور إلى أواخر الإمبراطورية كان الطعام الأساسي للرومان. تم العثور على آثار منه في أقدم الطرق المرصوفة من السوق الروماني. كان النبات شديد المقاومة ويمكن زراعته حتى في التربة الفقيرة: كل سنبلة تحتوي، كما يوحي الاسم النباتي (triticum dicoccum)، على حبتين ملتصقتين جيدا بقناب يشكل القشرة. ولتحضير ا لطعام، كان لابد من تجفيف الحبوب أولاً لفك القشرة ثم سحقها مرتين، أولاً لإزالة القشرة وثانيا لتفتيت الحبوب. كان يتم صنع العصيدة من الحبوب المطحونة. يتضح أثر (far) من خلال استخدامه في الطقوس وفي أقدم أشكال الزواج، " أكل كعكة معاً" confarreatio، حيث ظهرت كعكة far في الاحتفال. انظر:
(David Thurmond (2006), A Handbook of Food Processing in Classical Rome: For Her Bounty No Winter, Koninklijke Brill NV, p. 18.)

([1]) **كامبانيا Campania**، التي لا تزال تسمى بالاسم الروماني، هي واحدة من أكثر المناطق خصوبة ليس فقط في إيطاليا ولكن في البحر المتوسط، ولجميع الأسباب الوجيهة تسمى "حديقة إيطاليا". تقع على الساحل الغربي وتمتد من حدود لاتيوم Latium جنوب شرق نابولي Naples إلى نهر سارنو Sarno وخليج سورينتو Sorrento. حيث إنها ارض معطاءة مثل عدد قليل من الأ راضي الأخرى. في المقام الأول، يعتبر الوضع الجغرافي للمنطقة بأكملها مثاليا للزراعة تماما كما تحدث Cato في (De Agriculture i.I.3) عن مواصفات ملكية الأرض الجيدة: sub radice montis siet, in meridiem spectet, *"فليكن عند سفح جبل ومواجهة الجنوب"*. هكذا هي كامبانيا. حيث توجد خلفها ارتفاعات متصاعدة لجبال الأبينين Apennines: وبالتالي فهي تتمتع بأشعة الشمس الإيطالية غير المحدودة وتؤمن لها المرتفعات الحماية من الرياح الشمالية والشرقية. توفر هذه المرتفعات أيضا انهار دائمة من المياه العذبة تتغذى عن طريق ذوبان الجليد في القمم العليا حتى في الصيف الحار والجاف. تضاف إلى هذه المزايا الطبيعية، المميزات الخاصة للتربة التي تحتوي على طبقات غنية من الحمم البركانية التي اختفت منذ فترة طويلة، والطمي من الأنهار الصغيرة والكبيرة التي تتدفق في تعرجات لطيفة تنشر رواسبها الغنية بالتساوي. أهمها نهر فولتورنوس Volturnus وكلانيوس Clanius وسارنو Sarno. تمتاز التربة بأنها خفيفة وهشة وتمتص الماء، مما تسمح بتكوين المياه الجوفية

المزروع في إقليم ابوليا[١] Apulia، وأيضًا النبيذ الشهير في إقليم فاليرنوس[٢] Falernus، وبالمثل الزيت الفاخر المنتج من إقليم فينافروم [٣] Venafrum. ثم يذهب إلى القول بما أن جميع إيطاليا مغطاة بالأشجار ف يشبهها مجازيا بالبستان، كناية عن كثرة الأشجار والزروع التي تكسي أراضيها الخصبة.

ثم يقارن بعد ذلك وفرة وثراء الأقاليم بالمحاصيل الزراعية في إيطاليا بمثيلاتها التي اشتهرت بها بعض المناطق الإغريقية كما وردت عند هومورس، ويتساءل: هل فيريجيا Phrygia التي يطلق عليها هومروس "الغنية بالكروم [٤]" مزروعة بالكروم أكثر من الأراضي في إيطاليا، والإجابة ضمنيًا هنا، أن أراضي إيطاليا هي الأكثر في كثافة زراعة الكروم، والأمر نفسه حين يقارن القمح المزروع في منطقة

تحتها والتي يمكن استغلالها عن طريق الآبار البدائية، التي تعمل بحبل متصل بعمود طويل ومثقل بحجر كبير. ومن السمات المهمة للمزارعين أيضا هي سهولة العمل بها. انظر :(Bertha Tilly (1973). P. 139-140)

(١) **ابوليا** Apulia : هي منطقة (تسمى الآن بوليا) في جنوب شرق إيطاليا تمتد من شبه جزيرة جارجانو Gargano، إلى كالابريا Calabria. جزئها الجنوبي يعرف باسم سالنتو وهو شبه جزيرة تشكل كعب «الجزمة» الإيطالية. التربة جافة ولكنها خصبة خاصة في الشمال وعلى طول الساحل. انظر: (Bertha Tilly (1973), P. 140)

(٢) **فاليرنوس** Falernus ، وهي منطقة في شمال كامبانيا تقع بين جبل ماسيكوس Mons Massicus ومجرى نهر فولتورنوس Volturnus، كانت التربة ذات الأصل البركاني خصبة بشكل خاص وأنتجت ما كان يعتبر في زمن فارو أفضل أنواع النبيذ في إيطاليا. انظر: (Bertha Tilly (1973) , P. 140)

(٣) **فينافروم Venafrum:** وهي بلدة في كامبانيا تقع على سفوح جبل سانتا كروتشي Monte Santa Croce إلى الشمال وتطل على وادي فولتورنوس Volturnus وتقع في وسط أرقى المناظر الطبيعية في المنطقة. وقد اشتهر بزيتِ الزيتون في العصر الروماني ولا يزال أفضل أنواع زيت الزيتون جودة، والذي يعتبر ثمينا للغاية حتى اليوم.

(Ashby, Thomas (1911), "Venafrum". Encyclopædia Britannica, Vol. 27 (11th ed.), Cambridge University Press, p. 980)

(٤) يصف هومروس فيرجيا في الالياذة بقولة:

ἤδη καὶ Φρυγίην εἰσήλυθον ἀμπελόεσσαν ,(Homer.Illiad.III.184)

"قبل أن أسافر الآن إلى أرض فريجيا، الغنية بالكروم،" بينما كان يستعد هومروس للسفر الى فيريجيا يصفها بانها الغنية بالكروم لوفرة إنتاجها.

أرجوسArgos بالقمح المزروع في مناطق إيطاليا. والإجابة ضمنيًا هنا أنه لا يوجد أفضل من الفاكهة ولا المحاصيل الزراعية الإيطالية سواء في جودتها أو حجم إنتاجها ولا في وفرتها وكثرتها.

كوسيلة لتمضية الوقت حتى وصول مضيفهم الغائب، بدأ الرجال - الذين يبدو أنهم استلهموا من خريطة إيطاليا التي يتفقدونها على جدار احدى غرف المعبد - في مناقشة حول خصوبة أرض إيطاليا، أولاً: على نطاق عالمي، لتقييم موقعها المثالي الذي منحها مناخ معتدل وتربة خصبها تتفرد بهما بين دول العالم المأهول آنذاك. ثانيًا: على المستوى المحلي، بدأوا في مناقشة مميزات المنتجات الزراعية وجودتها ومقارنتها بمثيلاتها في الأقاليم المجاورة مما يميز إيطاليا عن أماكن أخرى في العالم.[١]

كانت هذه المناقشات الواسعة في مسائل الإنتاج والمحاصيل وخصوبة التربة، هي مقدمة من نوع ما للمناقشة الحقيقية حول النقاط الدقيقة للنشاط الزراعي، والتي يتناولها المحاورون بحماس عندما يصل الخبيران في الزراعة، سكروفا وستولو، إلى المعبد.

Illi interea ad nos, et Stolo, inquit,?.....Itaque dum id nobiscum una videatis ac venit aeditumus, docete nos, agri cultura quam summam habeat, utilitatemne an voluptatem an utrumque. Ad te enim rudem esse agri culturae nunc, olim ad Stolonem fuisse dicunt. Scrofa, Prius, inquit, discernendum, utrum quae serantur in agro, ea sola sint in cultura, an etiam quae inducantur in rura, ut oves et armenta. (DRR.I.ii.11-12)

"وبينما كنا نتحدث جاء كل من (ستولو وسكروفا)، وسأل ستولو؟..... وهكذا، بينما ننتظر نحن وأنتم رؤية العشاء، وعودة أمين المعبد، أخبرنا ما هي الغاية التي تتطلع إليها الزراعة، الربح، أو المتعة، أو كليهما؛ فقد قيل لنا أنك الآن خبير الزراعة، وأن ستولو كان كذلك في السابق. قال سكروفا: أولًا، ينبغي لنا أن نحدد ما إذا كنا سندرج تحت الزراعة فقط الأشياء المزروعة، أو أيضًا أشياء أخرى، مثل الأغنام والماشية، التي يتم جلبها إلى الأرض".

انضم (ستولوStolo وسكروفاScrofa) [٢]، للمتحاورين في المعبد، كانوا جميعا ينتظرون روية العشاء وعودة أمين المعبد، وفى السياق نعرف أن سكروفا خبير في

([1])Jessica Kapteyn (2015), All Italy an orchard: landscape and the state in Varro's de Re Rustica, University of Washington. p. 38-39.

([٢]) **ستولو**Stolo **وسكروفا**Scrofa : الصديقان اللذان ينضمان الآن إلى المجموعة يشكلان الستة الذين يشاركون في المحادثة. لقد تمت دعوتهم أيضا لتناول العشاء، لكنهم تأخروا

الشؤون الزراعية وقد سبقه ستولو في هذا المجال، ومن ثم كونهما خبيران في الشؤون الزراعية، وبينما ينتظرون جميعا عودة مضيفهم، فسوف يناقشون أدق التفاصيل الخاصة بالزراعة كما يتضح في النص.

على هذا النحو، فإن هذه النظرة العامة على الزراعة الإيطالية هي جسر بين مكان الحوار وموضوعه، مما يسلط الضوء على الملاءمة بين المكان والموضوع، والتي أسسها ڤارو إلى حد كبير من خلال استخدامه المرح للغة بشكل مميز، يحدد معبد الأرض، مع تصوير إيطاليا على جداره، الموضوع على أنه أرض إيطاليا، في حين أن الدلالة الزراعية للإلهة تللوس تشير إلى الحقول المزروعة (الريف) في إيطاليا بشكل أكثر تحديدًا باعتبارها المسألة المطروحة.[١]

٣- معبد تللوس والمناقشات الزراعية.

في الواقع، يسلط ڤارو نفسه الضوء على العلاقة بين الزراعة وتللوس في مقدمة الكتيب الأول، حيث يستحضر الربة كواحدة من الآلهة الزراعية الاثني عشر الذين أهدى لهم العمل:

(Primum, qui omnis fructos agriculturae caelo et terra continent, lovem et Tellurem) (DRR.I.i.5)

"أولاً، جوبيتر وتللوس، اللذان يحملان كل ثمار الزراعة في السماء وفي الأرض"

يبتهل ڤارو الى جوبتر وتللوس، على الرغم من أن جوبيتر هو رب السماء وتللوس ربة الأرض، فإنهما يمثلان الأب والأم لكل شيء، من خلال أرسال جوبتر المطر إلى حضن الأم تللوس (الأرض) فينبت النبات.

ومن ثم تؤكد مناسبة التجمع أيضًا على الجانب الزراعي للمشهد، نظرًا لأن "عيد البذور" ذات طبيعة زراعية على وجه التحديد وترتبط بشكل خاص بـ تللوس ويقام المهرجان بين موسمي البذر، الأول يمتد خلال أشهر الخريف، والثاني في فصل

إلى حد ما. يتم اختيار ألقابهم، لإضفاء صفة مميزة على الجانب الزراعي للاجتماع بما يتماشى مع ولع فارو بصنع التورية. يضيفون لونا إلى الأحداث على الرغم من أنهم في الواقع أسماء عائلة رومانية.

Stolo تعني "الطفيل" وفي تقدير فارو فإنها تتضمن الثناء على الفلاح حامل ذلك اللقب، إنه يعتني ببساتينه وأشجار الكروم والزيتون جيدا بحيث لا يسمح لأي براعم غير مرغوب فيها بالخروج من الأشجار. حتى أنه يخرجهم من الجذور قبل أن تتاح لهم فرصة الإنبات. سكروفا Scrofa تعني "مربي إناث الخنازير" أو أي نوع من الخنازير، لم يكن الرومان يعتبرون هذا المصطلح نوعا من أشكال الإساءة. انظر:(. .Bertha Tilly ((1973), P. 143

([1]) Jessica Kapteyn (2015), p. 39.

الربيع. على هذا النحو، احتفل الرومان خلال عيد البذور "بنهاية فترة زراعية وبداية فترة أخرى"، وصلوا إلى تللوس وكيريس من أجل حماية المحاصيل التي زرعت بالفعل وتلك التي سيتم زراعتها قريبًا. (١)

إنه مهرجان يجعل وجود المتحاورين في معبد تللوس منطقيًا ويحول مناقشتهم حول كيفية الزراعة إلى جزء من الاحتفالات بدلًا من مجرد وسيلة لتمضية الوقت. ومع ذلك، يؤكد المهرجان أيضًا على التوجه الريفي (بدلاً من التوجه الحضري) للموضوع، والذي يعززه فارو بطريقة أكثر مرحًا من خلال مجموعة شخصياته، يحمل الكثير منها أسماء استخدمها لإحداث توريات على المصطلحات الزراعية: Fundanius، وAgrius، وAgrasius، وStolo – وهي أسماء تعنى: "فتى المزرعة، والحقل، والريف، والبراعم".

الرجال، بأسمائهم الزراعية، يعدون مصدرًا لموضوعنا باعتبارهم المزارعين والحقول التي يعيش فيها سكانها الرومان الطيبون من الطراز القديم.

إن البيئة الدرامية للكتيب الأول، من خلال الجمع بين الأشخاص والمكان والمناسبة، يبني صورة مصغرة مثالية لإيطاليا، التي توضح جميع العناصر التي تعمل جنبًا إلى جنب لتحقيق أقصى قدر من الخصوبة والانسجام، وفقًا للمناقشات الأولية للمتحاورين في الشؤون الزراعية، وهي أمور طبيعية بالنسبة لإيطاليا، فهي أرض مناسبة بطبيعتها للزراعة والإنتاج.

إذن ومن خلال المطالعة المبدئية، فإن المشهد الدرامي للكتيب الأول يتنبأ بمحتوى المحادثة التالية للقارئ،

حيث انه يمكن للقارئ، من المشهد الافتتاحي وحده، الحصول على فكرة واضحة عن موضوع المحادثة الذي سيشارك فيه هؤلاء الرجال، في أوقات فراغهم. (٢)

لكن أطار البيئة المحيطة هو أكثر من مجرد عرض للحوار في صورة بسيطة، فهو يحتوي أيضًا على عناصر تزيد من تعقيد المناقشة البسيطة وتثري مغزاها، ففي حين أن المشهد الافتتاحي للكتيب الأول يبدو في البداية نموذجًا مصغرًا وجذابًا وسلميًا لإيطاليا الريفية والمنتجة، إلا أنه عند الفحص الدقيق، تبيَّن أن هناك خلل في بعض الأمور؛ منها: إنَّ معبد تللوس مكان مناسب للموضوع الزراعي ومناسب أيضًا للاحتفال بعيد البذور، ولكن موقعه في روما يجعله خيارًا غريبًا إلى حد ما كمكان لمثل هذا الحوار. (٣) لأنه غالبًا ما كانت حوارات أفلاطون و(الأهم)

---

(1) Scullard, H. H. (1981), Festivals and ceremonies of the Roman Republic, London, Thames, and Hudson LTD. pp. 51,68.

(2) Jessica Kapteyn (2015), p. 40.

(٣) ترى **جرين Green** أن الموقع الروماني أحد "التفاصيل المهمة" للاطار الدرامي الذي "ليس مناسبا تماما للموضوع"، في هذه الحالة الزراعية. راجع: C. M. C. Green (1997, (Autumn). p.430)

شيشرون تجري في أماكن منعزلة في الريف، والتي، كما يشير ديدريش[١] Diederichبالفعل كان الريف سيكون الموقع الأكثر ملائمة للحوار عن الزراعة، ويتفق معه بعض الباحثين أيضا.[٢]

تحتل البيئة الريفية مكانة بارزة مهمة بشكل خاص في حوارات شيشرون؛ حيث يمثل الوقت في الريف كُلًا من: الإنتاج من الضيعة، والترفيه من حياة المدنية، وهما عنصران مطلوبان للإنتاج الأدبي (الحوار)؛ إذ تعكس أماكن الحوارات في معظم أعمال شيشرون الفلسفية هذا التوجه؛ ويجتمع محاوروه في واحدة أو أكثر من مزارعهم الريفية (الضيعة)، دائمًا في يوم مسموح به للترفيه، ويستخدمون وقت الفراغ otium، لإجراء مناقشة فلسفية/سياسية/اصطلاحية [٣]. حتى في محاورة "بروتوس"Brutus، التي كتبها شيشرون في روما خلال فترة وجوده، يجتمع المتحاورون ويتحدثون في مكان يبدو وكأنه الريف، وهو انسحاب من المدينة: في خصوصية منزل شيشرون، يجلسون في المرج الصغير pratulum، تحت تمثال نصفي لأفلاطون. [٤]

---

(١) يقول ديدريش في هذا الصدد: "لا شيء يمكن أن يكون أكثر طبيعية من اختيار المناطق الريفية كإطار للحوارات حول الزراعة." راجع:

(Diederich, S. (2007), Römische Agrarhandbücher zwischen Fachwissenschaft, Literatur und Ideologie. Untersuchungen zur antiken Literatur und Geschichte 88. Berlin, De Gruyter.p.185.)

(2) Linderski, Jerzy (1989), Garden parlors: nobles and birds', in R. Curtis (ed.), Studia Pompeiana et classica in honor of Wilhelmina F. Jashemski. Volume 2, New Rochelle, NY, A. D. Caratzas: 105–27. p.106. &. Womack, P. 2011. Dialogue. London, Routledge. pp. 26-28.

(٣) عن استخدام شيشرون البيت الريفي كإطار للمناقشات الفلسفية، انظر:

(Spencer, D. (2006), Roman landscape: culture and identity, Greece & Rome new surveys in the classics 39. Cambridge, Cambridge University Press. pp. 63-68.)

(٤) يذكر شيشرون نحو ذلك:

idem placuisset illis, tum in pratulo propter Platonis statuam consedimus.(Cicero. Brutus. 6.24.)

"ولكن لكي يتم شرح الخطاب بسهولة أكبر، دعونا نفعل ذلك جالسين، إذا بدا الأمر كذلك. فلما فرحوا بمثل ذلك جلسنا على المنصة بجوار تمثال أفلاطون."

وفي هذا السياق أيضًا جرت المناقشات الخاصة بمحاورة "عن الجمهورية" De re Publica، في حديقة سكيبيو افريكانوس[١] Scipio Africanus ، ولكن لم يتم تحديد ما إذا كانت الحديقة تنتمي إلى مسكنه الحضري أو فيلا في الضواحي أو الريف.[٢]

وتأخذ محاورة "عن طبيعة الآلهة" De Natura Deorum، مكانها في حديقة ماركوس اوريليوس كوتا[٣] M. Aurellius Cotta ، خلال مهرجان "الأعياد اللاتينية" Feriae Latinae، وهو مهرجان يحتفل بوحدة الشعوب اللاتينية، ويقام في هضبة البانوس Mons Albanus، خارج روما، مما يشير إلى أنهم يجتمعون خارج المدينة.[٤]

---

(١) **بوبليوس كورنيليوس سكيبيو افريكانوس** Publius Cornelius Scipio Africanus (٢٣٥/٢٣٦ –١٨٣ق.م.) كان جنرالاً ورجل دولة رومانيا، اشتهر بأنه أحد المهندسين الرئيسيين لانتصار روما على قرطاج في الحرب البونيقية الثانية, غالبا ما ينظر إليه على أنه أحد أعظم القادة العسكريين والاستراتيجيين في كل العصور، وكان أعظم إنجازاته العسكرية هو هزيمة هانيبال في معركة زاما عام ٢٠٢ قبل الميلاد، أكسبه هذا الانتصار في أفريقيا اللقب الفخري Africanus، والذي يعني حرفيا "الإفريقي". انظر:

(Zmeskal, Klaus (2009), Adfinitas, Vol. 1. Passau: Verlag Karl Stutz, P. 97.)

(2) Cic. De Re Publ. 1.14.

(٣) **ماركوس أوريليوس كوتا** Marcus Aurelius Cotta كان سياسيا وجنرالاً رومانيا كان قنصلاً في عام ٧٤ قبل الميلاد. تم إرساله إلى بيثينيا مع الأسطول الروماني كجزء من الحرب الميثريدية الثالثة. هزمه الملك ميثريداتس السادس ملك بونتوس. أنقذه زميله القنصل، فقلص ساحل بونتيك واستولى على مدينة هيراكليا بعد حصار دام عامين. عند عودته إلى روما عام ٧٠ قبل الميلاد، نال كوتا استحسانا لانتصاره. ومع ذلك، في حوالي عام ٦٧ قبل الميلاد، أدين باختلاس غنائم الحرب وطرد من مجلس الشيوخ، وهي علامة على العار. انظر:

(Mennen, Inge, Power and Status in the Roman Empire, AD 193–284 (2011) Leiden: Brill.p. 129.)

(4) Cic. De Nat. Deo. 1.15.

لكن في الكتيب الأول من الشؤون الزراعية، يجتمع الرجال في مبنى عام في وسط المدينة، وهو معبد يمثل العالم الطبيعي في الحوار، وليس مساحة خاصة مثل الحديقة[١] أو الضيعة، التي تحاكي الطبيعة بشكل ملموس.[٢]

وفي سياق ما سبق نجد أن ڤارو وغالبية أصدقائه المتحاورين، هم من رجال الدولة المعروفين. لذلك فإن الجانب العام من المكان يمثل إشكالية، كما يقترح ستروبStroup، لأنه مهما كان على رجل الجمهورية أن يختار قضاء عطلتهotium، فلا ينبغي له أن يستمتع بها علنًا.[٣]

ووفقًا لـ ديدرش Diederich، لا يوجد نموذج أدبي واضح لاختيار المعبد كإطار للحوار.[٤]

ومن ثم فإن معبد تللوس والذي من المفترض أن يربط مكان الحوار بموضوعه في نفس الوقت، وبوصفه موقعًا حضريًا (مع علاقة مجازية فقط بالريف) فإنه يقوض العلاقة الطبيعية بين المكان وموضوع الحوار. وبالطريقة نفسها، فإن الأهمية الزراعية لـ عيد البذور، تضيف مستوى من التنافر إلى مكان الاحتفال، مهما كانت أهمية تللوس في عيد البذور، فإن المزارعين الحقيقيين سيحتفون ب العيد في الريف، لا يمكن للارتباط الرمزي بين المعبد والعطلة (وقت الفراغ) والريف أن يخفي حقيقة أن الرومان المجتمعين هنا لمناقشة الزراعة لم يخرجوا إلى الريف ليضعوا هذه الكلمات موضع التنفيذ، وبدلا من ذلك يقضون أوقات فراغهم في المدينة.

٤- <u>غياب حارس المعبد والاضطرابات في روما.</u>

مكان الحوار ليس الجزء الوحيد من إطار الكتيب الأول الذي تم وضعة في مكان غير مناسب، حيث اجتمع هؤلاء الرجال في معبد تللوس بدعوة من مضيفهم فونديليوس حارس المعبد Fundilius Aeditumus لإجراء محادثة، لكن مضيفهم غائب، كما يذكر فارو بقوله:

morere oportet nobiscum, dum ille revertatur. Nam accersitus ab aedile, cuius procuratio huius templi est, nondum rediit et nos uti expectaremus se reliquit qui rogaret. (DRR.I.i.2)

---

(١) كانت الحديقة الرومانية hortus، مثل الفيلا، عبارة عن مساحة رومانية مميزة. انظر:
(Von Stackelberg, K. (2009), The Roman Garden: space, sense and society, London, Routledge. pp. 9-48.)

(2) Jessica Kapteyn (2015), p. 42.

(3) Stroup, S. C. 2010. Catullus, Cicero, and a society of patrons: the generation of the text. Cambridge, Cambridge University Press. p. 43.

(4) Diederich (2007). p. 185

"سيتعين عليك انتظار عودته معنا، تم استدعاؤه من قبل الأيديليس المشرف على هذا المعبد، ولم يعد بعد، وترك رجلاً يطلب منا أن ننتظره."

عندما دخل ڤارو المعبد وجد أصدقائه هناك، وعندما سألهم عن أمين المعبد (لوكيوس فونديليوس مضيفهم)، أخبروه أنه خرج في طلب الأيديليس ولم يعد بعد، ومن ثم يتوجب عليهم انتظاره حتى يرجع.

ومن ثَمَّ، فإنَّ عدم وجود أمين المعبد في معبده وفي الحوار الذي من المفترض أن يكون هو من يديره، هو أمر غير مريح، ويكشف عن التوتر الكامن في هذا المشهد الافتتاحي، والشعور بالتوقعات التي لم تتحقق للمضيف، والمحادثة التي دعاهم إليها معًا.[١]

إن المناقشة التي تحدث هي وسيلة لقتل الوقت، وبينما يبدو أنها نجحت في تسلية هؤلاء الرومان أثناء انتظارهم، ولكن في النهاية لم يكن اجتماعهم وحوارهم المسلي لتمضية الوقت ليدوم في ضوء الأحداث المفاجئة، كما يوضح في أخر مشهد[٢]:

Cum haec diceret, venit libertus aeditumi ad nos flens et rogat ut ignoscamus, quod simus retenti, et ut ei in funus postridie prodeamus. Omnes consurgimus ac simul exclamamus, "Quid? in funus? quod funus? quid est factum?" Ille flens narrat ab nescio quo percussum cultello concidisse, quem qui esset animadvertere in turba non potuisse, sed tantum modo exaudisse vocem, perperam fecisse.(dRR.I.69.2)

"بينما كان يتحدث(ستولو)، ركض إلينا خادم أمين المعبد المعتق، والدموع في عينيه ويتوسل إلينا أن نسامحه على إبقائنا لفترة طويلة، ويطلب منا الذهاب إلى جنازة (أمين المعبد) في اليوم التالي. قفزنا على أقدامنا وصرخنا بصوت واحد: "ماذا؟ إلى جنازة؟ أي جنازة؟ ماذا حدث؟" وهو ينفجر من البكاء، ويخبرنا أن سيده قد طعنه شخص ما بسكين، وسقط على الأرض، أنه لم يتمكن من معرفة من هو وسط الحشد، لكنه سمع فقط صوتًا يقول إنه قد حدث خطأ."

بينما كان يتحدث ستولو عن الأمور الزراعية، ركض إليهم خادم أمين المعبد المعتق، وهو يبكي، ويطلب منهم السماح لأنه طلب منهم الانتظار بلا جدوى، لأن من ينتظرونه لن يأتي أبدًا؛ حيث إن أمين المعبد (مضيفهم الغائب)، قد طعنه أحدهم وسط الحشود وسقط صريعًا، ويخبرهم أن عملية القتل كانت بالخطأ حسبما سمع وسط الحشد.

([1]) C. M. C. Green (Autumn 1997), p. 430.

([2]) Jessica Kapteyn (2015), p. 42.

كان رد فعل ڤارو الفاتر وبارد القلب صادمًا بنفس القدر، والذي يختتم الكتيب الأول، بقوله:

Non moleste ferentes descendimus de aede et de casu humano magis querentes, quam admirantes id Romae factum, discedimus omnes.(DRR.I.69.3)

" غادرنا المعبد دون إنزعاج، وشعرنا بالحزن على سقوط الأنسان أكثر من تعجبنا مما حدث في روما، وتفرقنا جميعًا".

في الختام يشير ڤارو إلى أنهم غادروا المعبد بعد مقتل مضيفهم الذي لم يروه، والغريب في السياق أنهم غادرو المعبد دون إحساس بالضجر، ربما يدل على أنهم ألفوا مشاهد العنف والقتل في أواخر عهد الجمهورية من خلال الإشارة إلى أحداث روما في تلك الفترة، التي راح الأنسان ضحيتها.

والجريمة ليست فقط تترك المعبد بلا حارس بل تضع حدًا لوهم وقت الفراغ، وعلى الرغم من كل المعرفة والعلوم التي عرضوها، والوصف الوافر والمفصل لجميع المنتجات العجيبة التي يمكن زراعتها وحصادها، والمعلومات الكثيرة حول كيفية إنجاز كل هذى المهام الريفية، إلا أنهم يخرجون جميعهم من المعبد المقدس المكرس لخصوبة ووفرة إيطاليا، ويدخلون إلى العالم الحقيقي، دون تناول أي طعام (١).

ومن ثَمّ، فإن النهاية المفاجئة للحوار في الكتيب الأول مع الإعلان عن مقتل فونديليوس يوقظ كل من المتحاورين والجمهور الخارجي من حديثهم المريح، وتكشف لنا أن المناقشات الزراعية كانت وسيلة لقتل الوقت - وليست الحدث الأساسي- بينما ينتظرون أمين المعبد. ومع وفاة مضيفهم المزعوم، لم يعد هناك سبب للانتظار، ويذهب الرجال في طريقهم، دون الانتهاء من حديثهم عن الزراعة. (٢)

ومن ثم، فإن غياب المضيف وعدم ملائمة الموقع، هي عناصر كانت تشير في بداية الحوار إلى عدم انسجام الأجواء ولو بشكل ضعيف، لكن صدمة مقتل المضيف في نهاية الحوار هي أيضًا تذكير بأننا في مدينة روما، وتسلط الضوء بأثر رجعي على الشعور بعدم الارتياح الذي كان في الواقع حاضرًا دائمًا في المشهد الافتتاحي.

إن أجواء الكتيب الأول مشبعة بالتوتر، فضلاً عن المشاحنات السياسية، من خلال تاريخه الدرامي، الذي يضعنا مؤقتًا في نهاية الجمهورية، وعلى الرغم من أنه غير

(1) Joseph McAlhany (2016), Monuments of Unageing IntellectÕ: An Ancient ScholarÕs Life in Letters., University of Connecticut Humanities Institute April 23, p. 16

(2) Jessica Kapteyn (2015). p. 43.

معروف على وجهة اليقين في أي سنة تم نظم الكتيب الأول بالتحديد، فإن النطاق المحتمل يقع بشكل مؤكد بداية من: -

-من عام ٥٩ قبل الميلاد- وهو العام الذي كان فيه سكروفا وڤارو أعضاء في مجموعة "اللجنة العشرينية"[١]. ويشير فارو إلى ذلك بقوله:

Alterum collegam tuum, viginti virum qui fuit ad agros dividendos Campanos, video huc venire. (DRR.I.ii.10)

"والآخر الذي أراه قادمًا هو زميلك، الذي كان عضوًا في لجنة العشرين لتقسيم أراضي كامبانيا"

وهي مجموعة الرجال المكلفين بتوزيع الأراضي في كامبانيا وفقًا لمشروع قانون الأراضي الذي أصدره يوليوس قيصر في ذلك العام.[٢]

-إلى عام ٣٧ قبل الميلاد، عندما قال ڤارو، وهو على مشارف عامه الثمانين، إنه كتب الكتيب الأول،

Annus enim octogesimus admonet me. (DRR.I.i.1)

"لأن عامي الثمانين يستوقفني"

وفي هذا السياق يتحدث ڤارو عن إنه يجب أن يكتب بسرعة قبل الرحيل من الحياة؛ لأنه على مشارف الثمانين من عمره، وكما هو معروف أن فارو ولد عام ١١٦ق.م.، والتي نستخلص منها أنه ربما كتب الشؤون الزراعية عام ٣٧ق.م.[٣]

في حين اقترح الباحثين أن بداية خمسينيات القرن الأول ق.م (٥٩ ق.م- ٥٥ ق.م) وحتى منتصفها للإطار الزمني للكتيب، مشيرين إلى عنف عصابات الشوارع التابعة ل بوبليوس كلوديوس بولكيرPublius Clodius Pulcher ، وتيتوس أنيوس ميلو Titus Annius Milo في ذلك الوقت باعتباره موازيًا لجريمة القتل التي أنهت الكتاب الأول.[٤]

ومع ذلك، فإن سياق الحوار نفسه قد يشير إلى التاريخ إلى حد ما من خلال شخصية الأيديليس، الذي كان استدعاؤه لـ أمين معبد الأرض هو سبب غياب الأخير عن

([1]) Clay, Agnes (1911), "Decemviri". In Chisholm, Hugh (ed.), Encyclopædia Britannica, Vol. 7 (11th ed.), Cambridge University Press, p. 912.

([2]) Clay, Agnes (1911), p. 912.

([٣]) انظر أعلاه، ص ١.

([4]) Martin, R. (1971). Recherches sur les agronomes latins et leurs conceptions économiques et sociales. Paris, Les Belles lettres. PP.227-228. & Linderski,J. (1989), 'Garden parlors: nobles and birds', in R. Curtis (ed.), Studia Pompeiana et classica in honor of Wilhelmina F. Jashemski. Volume 2, New Rochelle, NY, A. D. Caratzas: (105–27). P. 119.

الحوار، وقد أضاف يوليوس قيصر اثنين من القضاة (الأيديليس كيريياليس) Cereales Aediles إلى قوائم المنصب في عام ٤٤ قبل الميلاد، على الأرجح في بداية العام. (١)

ونظرًا لأن واجبهم الأساسي كان رعاية إمدادات الحبوب، وبالنظر إلى ارتباط تللوس بالزراعة، فمن المتصور أن الأيديليس المذكور في المقدمة كان من المفترض أن يكون الأيديليس كريياليس. ومن ثم، فمن المحتمل أن يكون الكتاب الأول لحوار ڤارو قد حدث في مرحلة ما بين ٤٤ و٣٧ ق.م. خلال سكرات الموت الأخيرة للجمهورية. (٢)

عدة عناصر في إطار الحوار تقدم حججًا قوية لتحديد تاريخ درامي في يناير من عام ٤٣ق.م. الإشارة الأولى إلى التاريخ المحتمل هي أكثر دقة: بعد وصول ڤارو إلى معبد تللوس، تجمع الرجال جميعًا وجلسوا على "مقاعد" subsellia، والتي تصادف وجودها في المعبد (٣).

في حين أن (subsellium) بشكل عام عبارة عن مقعد منخفض، إلا أنها تشير بشكل أكثر تحديدًا إما إلى مقاعد المسرح أو مقاعد أعضاء مجلس الشيوخ في الكوريا (مقر اجتماعات مجلس الشيوخ) Curia (٤). لماذا إذن توجد مقاعد في معبد يقع في حي سكني ثري؟ لم تكن اجتماعات مجلس الشيوخ تُعقد دائمًا في الكوريا، بل غالبًا ما كانت تُعقد بدلاً من ذلك في معابد مختلفة في روما، بما في ذلك معبد تللوس. (٥)

وفقًا لشيشرون، استضاف معبد الأرض(تللوس) أول اجتماع لمجلس الشيوخ بعد اغتيال يوليوس قيصر (٦)،

(1) Dio Cass. 43.51.3 ; C.f., William Smith, D.C.L., LL.D.(1875), A Dictionary of Greek and Roman Antiquities,"Aediles",John Murray, London, 1875. Pp. 18-20.

(2) Diederich (2007), p.182.

(3) Jessica Kapteyn (2015), p. 45.

(4) Stroup, S. C. (2010), Catullus, Cicero, and a society of patrons: the generation of the text. Cambridge, Cambridge University Press. p. 71.

(5) Jessica Kapteyn (2015), p. 45.

(6) nec vero usquam discedebam nec a re publica deiciebam oculos ex eo die quo in aedem telluris convocati sumus. (Cic.Phil.1.1)

"ولم أغادر أي مكان، ولم أرفع عيني عن الجمهورية، منذ اليوم الذي دعينا فيه للقاء في معبد تللوس"

وتحديدًا في اليوم الثالث بعد اغتياله.[١]

وسواء تم استخدام المعبد كمكان لاجتماعات مجلس الشيوخ الأخرى أم لا[٢]، إلّا أنَّه كان موقعًا حيث بعض الشعور بالسلام، والتلميح بإمكانية استعادة الجمهورية ليطغى على بعض الخوف والفوضى التي أعقبت وفاة قيصر[٣]. تم تدوين دور معبد تللوس كمكان لهذه اللحظة المحورية إلى الأبد في روايات هذه الأحداث.[٤]

إن المشهد الذي يختتم به الكتيب الأول، يؤكد ويعزز الإشارة المحتملة إلى العواقب المباشرة لاغتيال قيصر التي تقدمها "المقاعد" ومعبد تللوس، وفي هذا الصدد يقول فارو على لسان ستولو:

Ille flens narrat ab nescio quo percussum cultello concidisse, quem qui esset animadvertere in turba non potuisse, sed tantum modo exaudisse vocem, perperam fecisse. (DRR.I.69.2)

"وهو ينفجر من البكاء، ويخبرنا أن سيده قد طعنه شخص ما بسكين، وسقط على الأرض، إنه لم يتمكن من معرفة من هو وسط الحشد، لكنه سمع فقط صوتًا يقول: إنه قد وقع(الطعن) بالخطأ."

فبينما كان ستولو يناقش كيفية تحديد وقت تخزين المحاصيل ومتى يتم إحضارها إلى السوق، يركض خادم أمين المعبد باكيًا إلى المحاورين، ويقاطع نقاشهم، مع أخبار عن مضيفهم الذي لن يحضر أبدًا.

([1]) post diem tertium veni in aedem telluris et quidem invitus, cum omnis aditus armati obsiderent.(Cic. Phil. 2.89)

"في اليوم الثالث دخلت إلى معبد تللوس، رغمًا عني تمامًا، حيث كان الرجال المسلحون يغلقون كل المداخل". راجع:

(The World's Famous Orations (ed.) William Jennings Bryan (1906), Volume 2: Rome, The First Oration Against Mark Antony, FUNK & WAGNALLS COMPANY, p.148.)

(٢) كما يبدو مرجحا، نظرا لموقعها المناسب في حي سكني عصري، موطن العديد من أعضاء مجلس الشيوخ الروماني بما في ذلك شيشرون وأنطونيوس. موقعه بالقرب من منزل أنطونيوس هو السبب المنسوب إليه لاختيار عقد أول اجتماع لمجلس الشيوخ بعد وفاة قيصر في المعبد. انظر: (App. B.Civ. 2.126).

([3]) Cic. Phil. 1.1, 31; 2.89; Plut. Ant. 14.3, Brut. 19.

([4]) App. B. Civ. 2.126; Dio Cass. 44.22.3

إن مقتل الرجل الخطأ وسط حشد فوضوي هو أمر يمكن لقُرائه أن يتعرفوا عليه من خلال حادثة عام ٤٤ ق.م.، أي منذ حادثة اغتيال قيصر [١]. تقول الرواية أنه في جنازة يوليوس قيصر، والتي - مثل اجتماع مجلس الشيوخ الذي عقد في معبد تللوس- حدثت في غضون أيام قليلة بعد وفاته في معبد تللوس، وثار غضب الجماهير على مقتل قيصر لدرجة أنهم هاجموا وقتلوا هلفيوس كينا Helvius Cinna، وهو تربيون العامة وشاعر، بعد أن ظنوا خطأً أنه كورنيليوس كينا[٢] Cornelius Cinna، المتآمر. [٣]

إن مجموعة الأحداث المتزامنة (المتتالية) التي يلمح إليها المعبد (مقاعد مجلس الشيوخ في معبد تللوس، والقتل الخطأ لرجل وسط حشد من الناس)، هي أمور ليست ذات مغزى إلى حد ما لو نظر إليها بشكل فردي، ولكن عندما يتم جمعها معًا، فإنها تخلق صورة مقنعة للأحداث التي تلت منتصف شهر مارس عام ٤٤ ق.م[٤]. مثلما حطمت الحشود العنيفة والاضطرابات المميتة في جنازة قيصر السلام المؤقت الذي حققه للتو اجتماع مجلس الشيوخ في معبد تللوس، مما دفع المتآمرين وأعضاء مجلس الشيوخ إلى منازلهم للاختباء. [٥]

([1]) Diederich (2007). p. 182.

([٢]) لوكيوس كورنيليوس كينا **Lucius Cornelius Cinna** (حوالي ١٠٠ق.م. – بعد ٤٤ ق.م.) كان سياسيا في عصر الجمهورية الرومانية. شغل كينا منصب البرايتور خلال دكتاتورية قيصر، لكنه كان مع ذلك متعاطفاً مع الجمهوريين ولم يوافق على سياسات قيصر. ألقى كينا خطابا عاما يوافق فيه على اغتيال قيصر في عام ٤٤، والذي كاد أن يعدم بسببه مرتين على يد حشد غاضب من أنصار قيصر. في ١٧ مارس، ذهب كينا إلى معبد تللوس لحضور أول اجتماع لمجلس الشيوخ بعد الاغتيال، ولكن خطابه السابق ترك انطباعا عميقاً، وتم التعرف عليه في الطريق من قبل حشد معاد، والتي ضمت قدامى المحاربين في عهد قيصر. رشق الحشد الغاضب كينا بالحجارة وطاردوه إلى منزل، حيث كانوا سيحرقونه حتى الموت لولا تدخل نائب قيصر القديم، ليبيدوس، مع جنوده. وصل العداء الشعبي تجاهه إلى ذروته، في جنازة قيصر في ٢٠ مارس، عندما تم تمزيق تربيون العامة، هلفيوس كينا، إربا على يد حشد غاضب بعد أن ظنوا خطأً أنه القاضي كورنيليوس كينا، بسبب تشابه الأسماء. انظر:

(Moles, John (1987), "The Attacks on L. Cornelius Cinna, Praetor in 44 B.C.", Rheinisches Museum für Philologie, 130 (2), p. 126-27.)

([3]) Suet. Iul. 85; Val. Max. 9.9.1; App. B. Civ. 2.20.147; Dio Cass.

([4]) Jessica Kapteyn (2015), p. 46.

([5]) Cice.Phil.2.89-91.

ومن ثم فإن القتل العرضي الذي أنهى الحوار في الكتيب الأول يقاطع بشكل صارخ وعنيف اجتماع المتحاورين المتناغم والمناقشات التي تدور حول الأمور الزراعية، مما أدى إلى بعثرة شمل المتحاورين إلى منازلهم، وبهذه الطريقة، لا يصبح "معبد تللوس" موقعًا مناسبًا من حيث الموضوع لمناقشة شؤون الإنتاج والربح من المزرعة فحسب، بل يصبح مرجعًا سياسيًا مشحونًا بهذه الأحداث التي كان تأثيرها بعيد المدى.

بحلول عام٤٣ ق.م، لم يكن السلام الذي تم تأسيسه في الأصل في معبد تللوس قد تم إعادة تجديده، ولكن استمرت الاضطرابات والفوضى السياسية، وهكذا في يناير من عام ٤٣، كان ماركوس أنطونيوس يحاصر القوات الرومانية في "موتينا" Mutina، وألقى شيشرون ثلاث خطب يطلب فيها من مجلس الشيوخ إعلان الحرب عليه بدلًا من إرسال سفراء للتفاوض معه على السلام. (١)

شهد شهر يناير من ذلك العام حالة من الفراغ الهش وقصير الأمد، وهي فترة بين السلام المأمول والعنف الصريح، في انتظار استجابة أنطونيوس - المشابهة للحركة من السلام والتناغم إلى العنف التي يعرضها الكتيب الأول، بينما ينتظر المحاورون عودة أمين المعبد، ولكن بدلاً من ذلك سمعوا بقتله. (٢)

إذن، من موقعه في عام ٤٣ ق.م.، يعالج الكتيب الأول مقتل قيصر ويظهر أن الأمل في أن يؤدي هذا الفعل إلى استعادة الجمهورية أخيرًا وبشكل كامل كان في غير محله، وبدلاً من ذلك، ظلت روما، بعد مرور عام، مكاناً يمكن أن يُقتل فيه الرجل الخطأ وسط حشد من الناس، أو رجل آخر (كينا)، ولن يتفاجأ أحد، ومع ذلك، حتى عندما يتعامل الكتيب مع الأحداث المضطربة التي وقعت في العام السابق، فإنه يردد أيضًا لحظات أخرى من الصراع السياسي والعنف في المناطق الحضرية من تاريخ المدينة الحديث.

قد يعيد غياب حارس المعبد إلى الأذهان رحيل بومبيوس وأتباعه والعديد من المسؤولين السياسيين من روما في يناير من عام ٤٩، بعد أن عبر قيصر الروبيكون في نفس الشهر، إيذانًا ببدء فترة أخرى من العنف المدني. (٣)

وبالمثل، فإن مشهد العنف في الشوارع الذي ينهي المحادثة الممتعة بين المحاورين، يذكرنا بالأعمال العدائية المتكررة بين Milo ميلو و كلوديوسClodius في الخمسينيات، بدءًا من عام ٥٧ ق.م، عندما أراد ميلو استدعاء شيشرون من المنفى وكان كلوديوس حريصًا على منع عودة الخطيب، نظم كلا الرجلين عصابات من العبيد والمصارعين لدعم جانبهم بالعنف في الشوارع، أدى انتخاب كلوديوس

(1) Cice. Phil.5-7.
(2) Jessica Kapteyn (2015), p. 47.
(3) Morstein-Marx, Robert (2021), Julius Caesar and the Roman People, Cambridge University Press. Pp. 322- 347.

لمنصب الأيدل في عام ٥٦ ق.م. إلى حمايته من الملاحقة القضائية على العنف الذي تسببت فيه عصاباته في معارضة استدعاء شيشرون، ولكن في ١٨ يناير من عام ٥٢، بعد سنوات من العنف بين عصابتي الرجلين، قتل عبيد ميلو كلوديوس. [١] يعكس سفك الدماء في خاتمة الكتيب أيضًا القوة التي استخدمها قيصر لدعم مشروع قانونه الزراعي لعام (٥٩ ق.م.) [٢]، والعنف المستخدم في انتخابات لا حصر لها في الأعوام (٥٦، ٥٥، ٥٤، ٥٣، و٥٠) ق.م، لعرقلة الانتخابات أو التأثير عليها، ومحاولات قتل المنافسين السياسيين، مثل محاولة قتل كلوديوس لشيشرون في ٦٣ ق.م. ولوكيوس فيتيوس وآخرين من قبل بومبيوس في عام ٥٩ ق.م. [٣]

هكذا تعكس الدراما التي تختتم الحوار العنف الذي ميز نهاية الجمهورية، والأحداث التي تجعل حتى جرائم القتل العرضية تبدو شائعة، كما يظهر رد فعل المحاورين على وفاة أمين المعبد:

Non moleste ferentes descendimus de aede et de casu humano magis querentes, quam admirantes id Romae Factum; (DRR.I.69.3.)

"غادرنا المعبد دون أن نأخذ الأمر على محمل الجد، وكنا نشعر بالحزن على سقوط الأنسان، أكثر من دهشتنا من حدوث ذلك في روما."

ولذلك عند سماع نبأ مقتل أمين المعبد، لم يندهش الحاضرون في المعبد، بل حزنوا فقط على مصرع الرجل أكثر من تعجبهم من حدوث تلك الجرائم في روما.

من خلال العرض السابق فإن النهاية المفاجئة للحوار في الكتيب الأول مع الإعلان عن مقتل فونديليوس يوقظ كل من المتحاورين والجمهور الخارجي من حديثهم المريح، وتكشف لنا أن المناقشات الزراعية كانت وسيلة لقتل الوقت - وليست الحدث الأساسي- بينما ينتظرون حارس المعبد. ومع وفاة مضيفهم المزعوم، لم يعد هناك سبب للانتظار، ويذهب الرجال في طريقهم، دون الانتهاء من حديثهم عن الزراعة. يستخدم ڤارو مشهد مقتل حارس المعبد في نهاية الكتيب لإظهار "كيف كانت أعمال العنف شائعة خلال الأيام المضطربة للحروب الأهلية، يعيش هؤلاء الرجال في مكان وزمان فقدت فيه مثل هذه الأفعال قيمتها الصادمة، حيث لا يعد القتل الخطأ مفاجأة مذهلة، إن روما التي يختتمها هذا الحوار هي مدينة محفوفة

(1) Gruen, E. S. (1995), The Last Generation of the Roman Republic: New Edition, Berkeley ,University of California Press. pp. 294-299. & See (Cic. Red. Sen. 19, 22; Sest. 75-91; Dom. 6, 11-14; Har . Resp. 15; Att. 4.3.2-3; Q.F. 2.1.1-2.)

(2) Cice. Against Vatinius, 22-23.

(3) lintott, (1999), A. Violence in the Roman Republic, Second Edition, Oxford, Oxford University Press, pp. 209-216.

بالمخاطر، في هذا الوقت في روما، لا يوجد مكان - ولا حتى مكان يستحضر الريف - حيث يمكن للمرء الهروب من واقع الجمهورية البائس. يناقش الكتيب الأول الصراع السياسي والعنف في المناطق الحضرية في أواخر الجمهورية الرومانية، كما يشير إلى مقتل قيصر ويظهر أن الأمل في أن يؤدي هذا الفعل إلى استعادة الجمهورية أخيرًا وبشكل كامل كان في غير محله.

قائمة الاختصارات:

DRR: De Re Rustica.
CJ: Classical Journal.
CQ: Classical Quarterly.

المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

Cato, M. Catonis, De Agri Cultura, Translated by W.D. Hooper, Harrison Boyd Ash. Harvard University Press, 1934.

Cicero, M. Tulli Ciceronis Pro A. Cluentio Habito Oratio Ad Iudices, Translated by H. Grose Hodge, Harvard University Press, 1927.

Ennius, Caecilius, Remains of Old Latin, Vol. I, Translated by E.H. Warmington, LCL, no. 294, Harvard University Press, London, 1935.

Hesiod, Works and Days Translated by Gelen W. Most., Harvard University Press 2018.

Homer, Iliad, Books 1-12, Translated by A.T.Murray, Revised by William E.Wyatt, Loeb Classical Library, London, 1953.

ثانيًا: المراجع

- المراجع الأجنبية:

B.Ribosati :"M.Terenzio Varrone :L´Uomo e lo Scrittore", Atti del Congresso Internazionale Di Studi Varroniani, Rieti (1976),vol.(I).

Bertha Tilly (1973), Varo the farmer; A selection from the Res Rusticae, university Tutorial press Ltd.

Jessica Kapteyn (2015), All Italy an orchard: landscape and the state in Varro’s de Re Rustica, University of Washington.

Jones, H. J. (1935). 'The dramatic date of Varro Res Rusticae, book II', Classical Review 49.6.

Jose Oroz Reta :"M.Terencio Varron Reatino, primer humanista romano, bimilenario de su muerte", Helmantica XXV(1974).

Kearns, Emily (2003), The Oxford Dictionary of Classical Myth and Religion, Oxford University Press, Oxford.

Ker, James (2010), "Nundinae: The Culture of the Roman Week", Phoenix, Vol. 64, No. 3, Classical Association of Canada, pp. 360–385.

Linderski, Jerzy (1989),"Garden Parlors: Nobles and Birds." In Studia Pompeiana et Classica in Honor of Wilhelmina F. Jashemski, vol. II, Classica, edited by R. I. Curtis, 105-28. New Rochelle, N.Y.: Orpheus.

lintott, (1999), A. Violence in the Roman Republic, Second Edition, Oxford, Oxford University Press.

Lowry, S. Todd (1998), Xenophons Oikonomikos, Über einen Klassiker de Haushaltsökonomie, Düsseldorf: Verlag Wirtschaft und Finanzen.

Marcus P. Cato on agriculture; Marcus Terentius Varro on agriculture (1954), with an English Trans., by W. D. Hooper, A. M., Litt. D., Harvard University press, L. C. L., Cambridge.

Platner, S. B. and Ashby, T. (1929), A topographical dictionary of ancient Rome, Oxford, Oxford University Press.

- المراجع العربية:

أحمد عتمان (١٩٩٠)، الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، العصر الفضي، الطبعة الأولى، أيجيبتوس، القاهرة.

.....، (١٩٩٥)، "الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، العصر الذهبي"، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة.

عبد المعطي شعراوي (١٩٩٩)، النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.